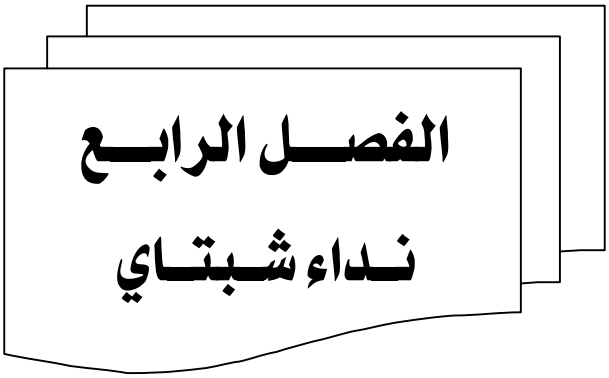
الفصـــل الرابـــع
نـــداء شـــبتـــاي

كانت الأندلس تزخر بمآثر يُفتخر بها إبان الحكم العربي الإسلامي في العصور الوسطى، فقد حدثتنا كتب التاريخ كيف انهار ذلك الصرح وماذا فعل الأسبان بالمسلمين نتيجة التطرف الديني من قتل واستباحة وطرد من كل بلاد الأندلس، بدأت قصة اليهودي "شبتاي زئيفي" في تلك اللحظة عندما هرب المسلمون واليهود من محاكم التفتيش الكاثوليكية، بعد سقوط غرناطة استقر المسلمون في المغرب والجزائر وتونس، أما اليهود فقد اتصلوا بالسلطان العثماني فاستقبلهم في الولايات العثمانية وأحسن وفادتهم، واستقرت جماعات منهم بمدينة "سلانيك" اليونانية بأمل أن تستفيد منهم الدولة لبراعتهم في التجارة والحرف اليدوية.

يُقال إن فكرة الدولة الإسرائيلية الأولى نشأت هناك في سلانيك، فقد كان اليهود من أثرياء الدولة العثمانية التي ضمنت لهم حقوقا لا يحلمون بها حتى استعملتهم في البلاط كُتَّابًا ومترجمين ووزراء في الولايات والأقاليم، ثم انتشروا في الأراضي العثمانية يديرون التجارة مع الشرق ومع أوروبا فانتعشت تجارتهم وكثرت أموالهم واتسع نفوذهم، وراح يراودهم الاهتمام ثانية بهيكل سليمان المزعوم هناك في فلسطين الولاية العثمانية المقدسة.

يقول الشيخ أسعد بيوض التميمي: "تتميز الديانة اليهودية عن غيرها من الديانات بحرية الخروج على النصوص التوراتية والاجتهاد، فالحاخام حسب المفاهيم التلمودية يقوم بتعليم الملائكة أنفسهم التفسيرات التلمودية والاجتهادات حول مختلف القضايا والأمور، ورغم كون اليهود أقلية صغيرة في العالم، إلا أنهم ينقسمون إلى أقليات صغيرة جدًا، منها ما انقرض مثل الصدوقيون، ومنها ما هو قائم تحت تسميات أخرى كالفرنسيين الذين شكَّلوا المحكمة الأولى لمحاكمة السيد المسيح، والذين يشكلون الآن الحركة الصهيونية.. وما بين هذين الاتجاهين هناك أقليات لا تزال تحافظ على معتقدها كالسامريين في مدينة نابلس بفلسطين، الذين يؤمنون فقط بالألواح السماوية التي نزلت على سيدنا موسى في جبل الطور في سيناء، أما الأقلية التي تثير الدهشة والاستغراب بسبب تاريخها الحافل بالمنعطفات الحادة والزاخرة بالمتناقضات وإشارات الاستفهام، فهي طائفة

"الدونمة" التي بعثها إلى الوجود الحاخام المتنبي "شبتاي بن مردخاي بن زئيفي"، لينتقل فيما بعد إلى الإسلام ويصبح اسم جماعته الدونمة".

شبتاي زئيفي ١٦٢٦ - ١٦٧٦م

Shabtai Ben-Mordechai Ben Ze'evi

شبتاي زئيفي ١٦٢٦ - ١٦٧٦م هو مسيح دجال، ولد في أزمير غرب الأناضول سنة ١٦٢٦م بتركيا لأب أشكنازي من يهود أوروبا الشرقية كان يشتغل بالتجارة والسمسرة، وحسب التقويم اليهودي فإن يوم ولادته يصادف ذكرى هدم المعبد اليهودي في القدس على يد الرومان، ويعتقد اليهود أن هذا اليوم هو الذي سينزل فيه المسيح اليهودي المخلص، الذي سيحكم العالم، ويصبح فيه اليهود أسيادًا على غيرهم من البشر، ورغم كثرة اليهود الذين ادَّعوا النبوة إلا أن أحدًا لم يستحوذ على الاهتمام الذي دار حول زئيفي، فجماعته كانت كبيرة، وأخباره انتشرت إلى أوروبا في الستينيات من القرن السابع عشر، وأتباعه لا يزالون يحملون اسمه في تركيا "الشبتائية"، عرف "بتاي زئيفي" بحبه للعزلة والانطواء

وبحالته النفسية غير السوية، تلقى تعليمًا دينيًا تقليديًا، ودرس التوراة والتلمود والمعارف الباطنية على يد حاخام أزمير "إسحاق دلبع"، وما أن بلغ الثامنة عشر من عمره حتى أصبح حاخامًا معترفًا به حسب رغبة أمه ذات الميول الدينية، إلا أن هذه الدرجة الدينية المرموقة لم تتمكن من وضع حد لغرابة أطواره وخروجه على الطقوس الحاخامية، فقد كان الحاخام الصغير يكثر من إنشاء الأشعار والتغني بها وسط حشد من معارفه، وهو في نفس الوقت يكثر من العزلة التامة لا يكلم أحدًا، وما بين عزلته واندماجه الاجتماعي كان يكثر التلميح إلى المسيح اليهودي الموعود الذي سيقطع دابر الشر والفقر من على وجه البسيطة، فيكثر الخير وتنبت الأرض حبة القمح بحجم كلية الثور، إلا أن خطاب شبتاي الذي يستهوي اليهود كثيرًا أثار حفيظة الكثيرين من حاخاماتهم بسبب نهجه الجديد في اللغة والممارسة، فكان مثلاً يلفظ اسم "يهوه" بدون تبجيل، ولم يكن يتقيد في سلوكه بحرفية التعاليم التلمودية، مما أدى إلى تآمر حاخامات اليهود في تركيا عليه وطرده منها إلى اليونان، استنبط الحاخام الشاب شبتاي من النصوص الدينية العبرانية حسب منهج القبالا أن ظهور المسيح سيكون سنة ١٦٤٨م، أعلن في ظروف بالغة التعقيد أنه المسيح المخلص الذي ينتظره اليهود، أو بالتعبير العبري ماشَيّح، وبرزت اضطرابات كثيرة خاصة في بولندا حتى أنها تسمى بفترة الطوفان، وقد آمن به كثير من يهود أزمير رغم رفض الحاخام "جوزيف اسكوبا" دعواه وتكذيبه له، قام شبتاي بخرق الشريعة عامدًا ونطق باسم يهوه إله اليهود، وأعلن بطلان سائر النواميس والشريعة اليهودية المكتوبة والشفوية، فألغى الوصايا اليهودية العشر وجعل عوضًا عنها ثماني عشرة وصية شبتائية وجعل يوم الصيام الذي يصادف ذكرى هدم المعبد اليهودي في القدس عيدًا لميلاده هو ألغى فيه الصيام ليصبح يوم فرح ونور وموائد فاخرة، وأكثر من ذلك فقد قسَّم الأرض إلى اثنتي عشر منطقة جعل على كل منها ملكًا من أتباعه، وطلب أن تزف التوراة إليه فهي عروس الإله، ووقع تحت تأثير مفهوم المخلص ونداء من السماء بأنه سوف ينقذ بني إسرائيل، بدأ المسيح المنتظر شبتاي رحلة المغامرات الشاقة، فقد وفد إلى استانبول سنة ١٦٥٠م فنصحه حاخامها "أبراهام

وجيني" بالرحيل إلى سلانيك حيث عدد أتباعه والمؤمنين به في تزايد، ثم عاد إلى أزمير سنة ١٦٥٩م وبعد ثلاث سنين ذهب في زيارة دعوية إلى مصر وفلسطين وعند عودته إلى أزمير صار تتويجه من طرف اليهود حسب معتقدهم، ثم نشر نداء إلى كل يهود العالم، قال فيه:

"أيها الإخوان.. لا يغب عن ذهنكم أن زفراتكم وتنهداتكم صعدت في خلال العصور إلى عنان السماء لشدة ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد، فلا تنوون أن تتخلصوا نهائيًا من الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التي وضعكم فيها أناس من الهمج، إننا نرى أن الازدراء مرافقًا لنا في كل مكان فالبدار البدار، فقد حان الوقت لتحطيم سلاسل الخسف والإهانة التي طوَّق العدو بها أعناقكم، وخلع النير الذي لا يطاق احتماله، نعم قد آن الأوان لنهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين أمم العالم فهيا بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم، إن عددنا يبلغ ستة ملايين منتشرين في جميع أقطار العالم، وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات شاسعة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا، إن الفرصة سانحة ومن واجبنا أن نغتنمها.

إنه يجب العمل بالوسائل التالية لنحقق هذا المشروع المقدس وهي إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلدًا التالية وهي: إيطاليا – سويسرا – المجر – بولونيا – روسيا – بلاد الشمال – بريطانيا العظمى – أسبانيا – بلاد ولس – السويد – ألمانيا – تركيا – آسيا – أفريقيا، فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث في مهمتها لتتخذ ما تراه من القرارات في صددها ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة لهم من الخضوع له".

هذا، وقسّم شبتاي العالم من بعده على مريديه الثمانية والثلاثين، ووفد لزيارته يهود من ألمانيا وبولونيا وبقية أنحاء العالم، كان شبتاي من أوائل من دعا إلى تجديد الهيكل في القدس، وإلى تحطيم قيود الذل والانحطاط واحتلال المركز اللائق بين أمم العالم، وتكوين لجنة تمثل اليهود في ١٥ بلدًا، وتتخذ القرارات لتنفيذ هذا

المشروع، بحيث يكون واجبًا على اليهود جميعًا قبولها والخضوع لها، ودعا إلى أن يتم ذلك بالتنسيق مع فرنسا، أما الأرض التي دعا إلى استعادتها فهي فلسطين وإقليم الوجه البحري من مصر.

سنة ١٦٥٤م توجه إلى سلانيك بتركيا حيث أعلن أنه النبي المنتظر، سافر إلى مصر في العام ١٦٦٣ وأقام هناك سنتين، تعرَّف خلالهما على اليهودية "سارة" التي جاءته خصيصًا من إيطاليا لاعتقادها أنها ستُصبح زوجة المسيح الموعود مما يعني أنها آمنت به عن بعد، وقد أقيم لهما حفل زواج مميز في قصر صديقه الثري عام ١٦٦٤م، وعاد إلى فلسطين، زار عدة بلدان خارج تركيا، ثم دخل القدس في مايو عام ١٦٦٥م وأعلن أنه صاحب الأمر الوحيد في مصير العالم، واعتلى ظهر الفرس وطاف القدس سبع مرات ومعه من تبعه، لكن حاخامات القدس عارضوه وأخرجوه من المدينة.

عام ١٦٦٦م أعلن شبتاي بأنه سيذهب إلى القسطنطينية وسيقوم بخلع السلطان العثماني، وعلى إثر هذا تغنَّى اليهود بذلك، وقد زاد هذا من حماسهم في أوروبا ووصلت الأخبار لندن وأمستردام وهامبورج، فراح اليهود في كثير من البلدان يرفعون بيارق الماشيح، وهو ما حدا أهم مؤسسة يهودية في العالم في ذلك الوقت (مجلس البلاد الأربعة) التي اكتسحتها الحمى المشيحانية، فكان أن أرسلت المؤسسة مندوبين عنها للحديث معه والاعتراف به، وذاع صيت شبتاي أكثر، فحدا بعض الأوساط المسيحية أن صارت تؤمن هي أيضًا بأن شبتاي سيتوج ملكًا على فلسطين، ولما حاول حاخامات أمستردام الاعتراض على رسائل شبتاي وما جاء فيها، كادت الجماهير أن تفتك بهم.

بعض أثرياء اليهود باعوا كل ما يملكونه استعدادًا للعودة إلى فلسطين، وراحوا يستأجرون السفن لنفس الغرض، وظن البعض بأنهم سيُحملون إلى فلسطين فوق الغيوم، وسرت هستيريا وهوس بين الجماهير اليهودية، فكان أتباعه يُغشى عليهم وهم في ذهول وغبطة ورضى إيماني، كانوا يؤمنون بشبتاي ويرونه في رؤاهم ملكًا متوجًا.

لكن الحاخامات أطلقوا على أتباع شبتاي بأنهم كفار، ولم يثن هذا من عزيمة شبتاي، وتمادى في دوره، فراح يوزع الممالك على أتباعه كما أشرنا، وأوقف الدعاء للخليفة العثماني في المعبد اليهودي، وأمر بالدعاء لنفسه كملك لليهود ومخلِّص لهم، ومضى يضفي على نفسه ألقابًا كان يُذيِّل بها رسائله، من تلك الألقاب: ابن الإله البكر، وأبوكم يسرائيل، وأنا الرب إلهكم شبتاي زئيفي، فأصر الحاخامات أكثر على رفض الاعتراف به، وطُرد من أزمير، وتنقل في الأعوام العشرة الأخيرة في بلاد اليونان، وانتهى حاخامات القدس إلى إعلان خروج شبتاي عن الدين.

في سبتمبر من نفس العام جاء الحاخام القبالي "نحميا" من بولندا لزيارة شبتاي، وقضى ثلاثة أيام في الحديث معه، رفض الحاخام بعدها دعواه بأنه الماشيح بل أخبر السلطات التركية بأن شبتاي يُحرض على الفتنة، في سنة ١٦٦٦م ذهب شبتاي إلى القسطنطينية ليعزل السلطان، ولكن عندما لاحظت إدارة الدولة العثمانية هذا الوضع اتخذت التدابير الزجرية لمقاومة هذا التكتل اليهودي، وقد وجدت الدولة دعمًا لها من طرف اليهود المحافظين والحاخامات الرسميين فقبضت عليه وسجنته سنة ١٦٦٦م بتهمة بث الفتنة وإفساد الديانة اليهودية وادِّعاء النبوة ثم نُقِل من سجن "زندان قابو" باستانبول إلى جزيرة "آيدوس" للتخلص من الزوار اليهود المتوافدين عليه هناك، فتحولت قبلة زائريه من اسطنبول إلى آيدوس ببحر إيجه.

قُدِّم شبتاي للمحاكمة وحدثت حكاية طريفة، إذ قال له السلطان العثماني آنذاك: سأقتلك، فإن كنت حقًا المسيح المنتظر، فلن أتمكن منك وسأومن بك، وإن كنت كاذبًا فقد نلت جزاءك، فعلم أن مصيره سيكون الموت، ولما خشي من السلطات الدينية ما كان منه إلا أن غيَّر أقواله، وأشهر إسلامه وتعلم العربية والتركية ودرس القرآن، وأسلمت زوجته من بعده، ثم حذا حذوه كثير من أتباعه الذين أصبح يطلق عليهم اسم يهود الدونمة.

أعلن شبتاي إسلامه لكنه ظل يمارس الطقوس الدينية اليهودية في الخفاء، كان إسلام شبتاي ومن أسلم معه حركة ماكرة خبيثة تهدف إلى تحويل الأنظار بعيدًا عنهم، استطاع هؤلاء مع الوقت أن يخترقوا المجتمع العثماني، وأن يتغلغلوا فيه تحت عباءة الإسلام، علل شبتاي تصرفه هذا بالقول، بإنه جاء في سفر الزوهر (تفسير توراتي) أن المسيح سيكون خيِّرًا في الداخل وشريرًا في الخارج، ولم يقطع شبتاي زئيفي الأمل في أن يستمر في قيادة حركته وظل كثير من أتباعه على إيمانهم به.

يقول المؤرخون، بإن محاكمة المسيح الدجال شبتاي زئيفي قد تمت في قصر السلطنة القديم بمدينة "أدرنة" في عهد السلطان "محمد الرابع"، ولم يكن شبتاي يُتقن اللغة التركية فكان يترجم له من الأسبانية رئيس الأطباء "حياتي زاده مصطفى فوزي أفندي" وهو يهودي الأصل كان قد أعلن إسلامه من قبل، وقد حضر المحاكمة علية القوم من رجال السلطنة، مسئولين ورجال دين وقانون، وكان السلطان محمد الرابع يراقب المحاكمة بنفسه من وراء حجاب، وبدأت المداولات ووُجِهَتْ التهم إلى المدَّعى عليه فلم يستطع لها ردًّا ولكن في أخر لحظة بادره مترجمه اليهودي الأصل بفكرة تُنقذه من الإعدام وتكسبه عند السلطان هيبة ومقامًا، اقترح عليه المترجم "رئيس الأطباء" أن يُعلن إسلامه كي ينجو بنفسه وحاول إقناعه باللغة الأسبانية أنه إن أعلن تراجعه عن دعوته فإنه أي المترجم يمكن أن يوصِّل الدعوة سرًا للأتباع، لأن أتباعه يؤمنون به إيمانًا أعمى، فقبل شبتاي الاقتراح وأعلن إسلامه، فعفى عنه السلطان وأطلق سراحه وخصص له مائة وخمسين "آقجة فضية" شهريًا ثم بدَّل الحاخام القديم شبتاي اسمه فصار يدعى "محمد عزيز أفندي" واغتسل ونطق بالشهادتين ولبس الجبة والعمامة ثم استطاع بأسلوبه الخاص أن يُقنع الكثير من أتباعه بإعلان إسلامهم، لكن بعض أتباع شبتاي اعتقدوا أن ما حدث يتجاوز فهمهم وأنه سر إلهي ينبغي التعمّق في تحليله، فأظهروا إسلامهم، فيما رأى البعض أنه لا يجوز تقليد المسيح المخلّص، وكان على رأس هؤلاء يهوديًا يدعي أنه يحمل روح أحد أنبياء

إسرائيل، كان يعيش في فلسطين ويدعى ناثان، حيث أعلن أن ما جرى من المسيح شبتاي إنما هو سر رباني ليس للعامة من الناس التعرّف عليه، وأن الزمن وحده كفيل بالكشف عن أسراره، كان شبتاي ينكر أمام أتباعه اليهود أن الخلاص قد سقط بإعلانه للإسلام، بل يبلغهم أن إنقاذهم قد اقترب أكثر، بينما يُعلن أمام المسلمين أنه مسلم بقناعة راسخة وأن قصة المسيح الموعود لا تخرج عن اجتهادات الخرافة، وبقي شبتاي كذلك حتى العام ١٦٧٦م عام وفاته، لكنه لم ينس أنه المسيح المنتظر الذي سيُخلِّص بني إسرائيل من الذل والعبودية.

وقد أطلق الأتراك على هذه الفئة الجديدة من المسلمين عبارة "دونمة" وهو مصدر مشتق من فعل "دونمك" باللغة التركية ويعني رجع وعاد ودار، أما المصدر منه فيعني العائدون إلى دين الحق أو بمعنى آخر المرتدّون عن دينهم، وكانت لهذه الطائفة طقوس وأعياد خاصة وعبادات غريبة، ولكن المؤرخين والباحثين يجمعون على أنهم يظهرون الإسلام ويحافظون على يهوديتهم وقلة منهم من حَسُنَ إسلامه.

نقل العثمانيون شبتاي في نهاية الأمر إلى ألبانيا حيث مات بمدينة "الكون" بوباء الكوليرا عام ١٦٧٦م، بينما ظل أتباعه يواصلون مخططاتهم، حتى نجحوا في اختراق النظام العثماني، وفيما بعد مكّنهم هذا من تحقيق أهداف كبيرة، مثل توطين اليهود في فلسطين، وخلع السلطان عبد الحميد من الخلافة، بل تمكنوا من إسقاط الخلافة بعد ذلك، وساعدوا أتاتورك في علمنة الدولة ومحاربة الإسلام، حيث يرجع إلى شبتاي إيجاد مذهب الدونمة في تركيا.

هذا، ولم يمض على وفاة شبتاي عشرين عامًا حتى ظهر أكثر من شخص ادَّعوا أن روحه قد حلَّت بهم، فكان شقيق زوجته أول من ادَّعى ذلك، وادعى يهوديًا آخر أن ألوهية شبتاي قد حلت به، وليس روحه، إلى أن أصبحت الفكرة ظاهرة لقيت حالة قوية من التبني لدى رجال الدين اليهود، حيث اتفقت جماعة منهم عام ١٧٠٠ م على تكوين فرقة دينية تدعو إلى إحياء الأفكار الشبتائية، وسجلت هذه الحركة انتشارًا واسعًا في أوروبا انطلاقا من تركيا، وتمكن دعاة الشبتائية من

تأليف عدة كتب تحتوي على تعاليم من تراث شبتاي بن زئيفي، وتكاد أبرز الدعوات في الإكثار من اقتراف الذنوب للتعجيل بقدوم المسيح مجسدًا في شخص آخر، وذلك بطبيعة الحال لا ينفي ألوهية شبتاي، حيث يعتقد أتباعه أنه ليس المسيح، ولكن الله تجسد في شخصه، مما يعني أن المسيح سوف يأتي لا محالة، وأن أرضية الذنوب التي تستوجب قدومه لم تأت بعد، لا يعتقد اليهود من أتباع "شبتاي" بصحة التوراة الحالية، لأنه ألغاها ووضع عوضًا عنها تعاليم ووصايا جديدة، ويعتقد الشبتائيون "يهود الدونمة" وذلك تبريرًا لتاريخ شبتاي، أن الإيمان الحقيقي هو الذي لا يظهر في سلوك الفرد، وعلى ذلك فإنه يحق للفرد اتباع مذهبين.

بقيت ديانة الدونمة تحافظ على سرية بالغة، واستخدم لها لغة عبرية مُحرفة لفترة طويلة من الزمن، وعلى الرغم من أن الدونمة يذهبون إلى المساجد إلا أنهم لا ينقطعون عن المعابد اليهودية، وقد تبين من خلال الكتب والنشرات الصغيرة الحجم، أن غالبية صلاة الدونمة مأخوذة من اليهودية، مع الأخذ بعين الاعتبار التعاليم التي أضافها شبتاي بن زئيفي، من أبرز شعارات الإيمان عندهم "شبتاي جل جلاله سيجمع بني إسرائيل المبعثرين في أطراف الأرض الأربعة"، "وسأبقى عبد شبتاي المخلص".

ويقول الشيخ أسعد بيوض التميمي أما وجه الخلاف الرئيسي بين يهود الدونمة والغالبية العظمى من اليهود فهي شرعية تبادل الزوجات والإباحة الجنسية التي يجريها بعض أتباع الشبتائية، يذكر الباحث الشهير "أبراهام جلنت"، أنه تعرف على بعض طقوس الدونمة الخاصة بتبادل الزوجات وأنهم يمارسونها على الشكل التالي: في ليلة الثاني والعشرين من شهر آذار، وهو يوم عيد الحمل، ترتدي نساء الدونمة أجمل الحلي والثياب، مع الحرص على الظهور بشكل يؤدي إلى إثارة أي رجل، ويُحضَّر لهذه الليلة أشهر أنواع الطعام والشراب، وبعد تناول الطعام تطفأ الأنوار، ويختلط الجميع في حفلة جنسية إباحية دون تمييز، وينظر

إلى المواليد الذين يولدون نتيجة الإخصاب في تلك الليلة بأنهم مميزين عن غيرهم.

ينقسم الشبتائيون إلى ثلاثة أقسام، تفرعت على مر السنين وكثرة الاجتهادات ومن ادَّعى أن روح شبتاي قد حلت فيه: ١- اليعقوبيون، ٢- الكركاش، ٣- القدماء أو الفرسان، ورغم الاختلاف بين جميع هذه الفرق، وعدم اعتراف الفرقة الثالثة بالفرقتين الأخريين إلا أنهم عند الوفاة يتوحدون في قبر موتاهم في مقبرة واحدة لا تستقبل غير موتاهم.

فلم تنته القصة بموت الحاخام المسلم، محمد عزيز أفندي (شبتاي زئيفي)، ولكنها تواصلت مع أتباعه الذين لعبوا دورًا كبيرًا في إسقاط الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية الحديثة على يد جمعية الاتحاد والترقي التركية، فقد تأسست الجمعية في مدينة سلانيك على يد أحد اليهود الشبتائيين ويدعى "باروخ" وانعقد أول اجتماع لها بالمجمع الماسوني بسلانيك، وقد قامت هذه الجمعية بعد ذلك بعزل السلطان عبد الحميد الثاني لرفضه بيع فلسطين لليهود، ثم سجن السلطان المخلوع في بيت لأحد اليهود بسلانيك، وقد لوحظ فساد البلاط العثماني وهيمنة اليهود عليه وكان الخليفة لعبة بين يدي الشبتائيين لا يعلم ما يجري خارج القصر، بل كان منصبه شرفيًا لكسب ولاء الشعب التركي المسلم كي لا يثور.

يقول الباحث (فتحي بشير البلعاوي – الجامعة الإسلامية، غزة)، "اتُهمت جماعة يهود الدونمة، أو على الأقل إحدى فرقها، بالاتجاهات الإباحية وبالانحلال الخلقي والانغماس في الجنس، وذلك بسبب تحليل الزيجات التي حرمتها الشريعة اليهودية وبسبب الحفلات التي كانوا يقيمونها ويتبادلون خلالها الزوجات (وهذا أمر شائع في أوساط الجماعات الحلولية التي تُسقط كل الحدود، بمعنى حدود الأشياء والعقاب.

وللدونمة صيغة خاصة من الوصايا العشر لا تُحرِّم الزنا، بل إنها تُحوِّل عبارة، لا تزن، إلى ما يشبه التوصية بأن يتحفظ الإنسان فقط في ارتكاب الزنا وليس أن

يمتنع عنه تمامًا، والموعظة الطويلة التي تركها أحد زعمائهم تحتوي على دفاع قوي عن إسقاط التحريمات الخاصة بالجنس في "توراة الخلق"، وتؤكد الموسوعة اليهودية أنهم يعقدون احتفالات ذات طابع عربيدي داعر في عيد من أعيادهم الذي يُسمَّى "عيد الحمل" ٢٢ مارس وهو عيد بداية الربيع، وإن كان يبدو أن مثل هذه الاحتفالات مقصورة أساسًا على فرقة القنهيليه، وهي على كل حال أكبر فرق الدونمة عددًا.

وتنتشر هذه الجمعية ويمتد نفوذها الآن في تركيا ومعظمهم يتمركزون فيها، وما يزالون إلى الآن يملكون في تركيا وسائل السيطرة على الإعلام والاقتصاد، ولهم مناصب حساسة جدًّا في الحكومة.

لقد أسهمت هذه الطائفة في هدم القيم الإسلامية في المجتمع العثماني وعملت على نشر الإلحاد والأفكار الغربية وانتشار الماسونية والدعوة لهتك حجاب المرأة المسلمة واختلاطها مع الرجال وخاصة في المدارس وكان الكثير من رجال جمعية الاتحاد والترقي يساهم في بعض نشاطاتها وأفراحها.

هذا، وقام يهود الدونمة بدور فعال في نصرة القوى المعادية للسلطان عبد الحميد والتي تحركت لعزله، وهم الذين سمموا أفكار الضباط الشباب ولا يزالون حتى وقتنا الحاضر يسعون لذلك، ولهم صحف ودور نشر، كما تغلغلوا في الاقتصاد العثماني وكل مناحي الحياة في الدولة العثمانية، وقد استطاعوا أن يأثروا في جمعية الاتحاد والترقي، وكان السلطان عبد الحميد الثاني عارفًا بحقيقة الدونمة ويؤكد هذه الحقيقة الجنرال "جواد رفعت أتلخان"، حيث يقول في هذا الصدد: "إن الشخص الوحيد في تاريخ الترك جميعًا الذي عرف حقيقة الصهيونية والشبتائية وأضرارهما على الترك والإسلام وخطرها تمامًا، وكافح معهما مدة طويلة بصورة جدية لتحديد شرورهم هو السلطان التركي العظيم، كافح هذه المنظمات الخطيرة لمدة ثلاث وثلاثين سنة بذكاء وعزم وبإرادة مدهشة جدًا كالأبطال".

وفي حقيقة الأمر، اهتم عبد الحميد بإبقاء الدونمة في ولاية سلانيك، وعدم

وصولهم إلى "الأستانة"، بغية عدم السيطرة عليها والتجنب من تحركاتهم، ونتيجة للموقف الجاد من عبد الحميد إزاء فرقة الدونمة اتبعوا إستراتيجية مضادة لـــه، حيث تحركوا ضده على مستوى الرأي العام العثماني والجيش.

ونتيجة لموقف عبد الحميد من الدونمة، قام يهود الدونمة بالتعاون مع المحافــل الماسونية للإطاحة به، وقد استخدم هؤلاء شعارات معينة كالحرية والديمقراطيـــة وإزاحة المستبد عبد الحميد، وعلى هذا الأساس قاموا بنشر الشقاق والتمرد فـــي الدولة العثمانية بين صفوف الجيش، وكانت الغاية من هذا هي تحقيق المشـــروع الاستيطاني الصهيوني باستيطان فلسطين، وكان يهود الدونمة يشـــكلون اللبنـــة الأولى لتنفيذ المخططات اليهودية العالمية، لقد لعب يهود الدونمة دورًا كبيرًا في تأسيس ونشاط جمعية الاتحاد والترقي، فهذه الجمعية لم تكـــن مقتصـــرة علـــى الإطلاق على العنصر التركي، بقدر ما كانت تضم خليطًا من القوميات والأجنـــاس والمذاهب المختلفة، وإجمالاً فزعماء الاتحاد والترقي كانوا بشكل عام من أصـــول اجتماعية متواضعة، إذ كانوا من أبناء صغار الموظفين، وصغار تجار المدن.

ولقد عمل يهود الدونمة وفق منهجية وإستراتيجية علـــى قـــدر مـــن التخطـــيط والمتابعة، وكان من هؤلاء "جاويد" الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للمالية، حيث أثبت جدارة كبيرة في الشؤون المالية والاقتصادية، ولقد اتهمت صحيفة عربية تصدر من باريس باسم (يقظة العرب) جماعة الاتحاد والترقي بأنهم على ارتبـــاط مـــع اليهود ومع الحركة الماسونية، وذهبت الصحيفة إلى أبعد مـــن ذلـــك، فاتهمـــت اليهود بأنهم يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي.

ويقول "سيتون واتسون" في كتابه (نشأة القومية في البلقان) ما يلي: "إن أعضاء تركية الفتاة الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم بهم، كانوا رجالاً منقطعـــين وبعيدين عن الحياة التركية، وطراز تفكيرها، لكونهم قضوا ردحًا طويلاً من الزمن في المنفى، كانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية، وبالنظريـــات غيـــر المتوازنة للروح الوحشية للثورة الفرنسية، وكان كثيرًا منهم أشخاص مشبوهين، إن العقول الحقيقية للحركة كانت عقول يهوديـــة أو يهوديـــة مســـلمة"، ويُكمـــل

(واتسون) قائلاً: "ومواردهم المالية كانت تأتيهم عن طريق "الدونمة" ويهود سلانيك الأثرياء، كما كانت تأتيهم المعونات من بعض الجمعيات الدولية أو الشبيهة بالدولية من فيينا وبودابست وبرلين، وربما من باريس ولندن أيضًا"، وجمعية تركيا الفتاة أو الأتراك الشباب، هو اتحاد لمجموعات عديدة ماسونية تسعى لإثارة القومية التركية الطورانية التي كان شعارها الذئب الأخضر، وكانت تسعى لمجموعة أهداف منها الإطاحة وتفكيك السلطنة العثمانية عن طريق إثارة القوميات التي كانت تحكمها السلطنة العثمانية كرد فعل على تتريك الأتراك، ومن المعلوم أن كل قادة الجمعية هم ماسونيون وليس فيهم مسلم واحد، في عام١٨٨٩م بدأت الحركة في صفوف الطلاب العسكريين وامتدت بعدها لتشمل قطاعات أخرى، وكانت بدايتها كممانعة للسلطة المطلقة للسلطان عبد الحميد، عند تأسيس جمعية الاتحاد والترقي في ١٩٠٦م، ضمت الجمعية معظم أعضاء تركيا الفتاة، فبنت الحركة واقعًا جديدًا للانشقاقات التي صاغت الحياة الثقافية والسياسية والفنية للإمبراطورية العثمانية في الفترة الأخيرة قبل إلغائها، حكم الباشوات الثلاثة المنتمين لتركيا الفتاة الإمبراطورية العثمانية منذ التحول عام ١٩١٣ م وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولقد تلقت جمعية الاتحاد والترقي مساعدات مالية من يهود الدونمة الذين كانوا يمتازون بامتلاكهم الكثير من الثروات، خصوصًا امتلاكهم للتجارة، وبهذا أحكم يهود الدونمة سيطرتهم على الجمعية، وحتى يحافظوا على هذه السيطرة كان لابد لهم أن يتظاهروا على الأقل، بأنهم يوافقون على تحقيق جمعية الاتحاد والترقي لأحلامها القومية، وكانت السرية والطرق الملتوية أمرين رئيسيين لكليهما، وبهذا أوقع اليهود جمعية الاتحاد والترقي في شراكهم.

ولقد كان بعض الأتراك يرون أن الجمعية هي يهودية أكثر منها تركية، في حين قال آخرون: "إن جمعية الاتحاد والترقي هي في جوهرها وأساسها يهودية تركية تعارض كل العناصر الأخرى، وهذا لا يمنع من محاولة يهود الدونمة تنسيق

المواقف مع الجهات الأخرى، حيث قاموا بالتنسيق مع جماعات الثورة الأرمينية، وجمعية الاتحاد والترقي".

ومن هنا يتضح التداخل في العلاقات التي تربط الماسونية التي هي مؤسسة يهودية وبين يهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقي، ومدى العلاقة التي تربطهم بعضهم البعض، وبنوع من التأمل والتدقيق يتضح أن اليهود المنتسبين لجمعية الاتحاد والترقي أصبحوا هم أصحاب الكلمة العليا والنفوذ فيها، ونبرز أهم دليل يثبت علاقة جمعية الاتحاد والترقي باليهود بشكل عام، وخاصة بيهود الدونمة، وهي وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) سنة ١٩١٠م، حول العلاقة بين الاتحاديين واليهود.

هذه الوثيقة السرية هي أصلاً رسالة سرية جدًا أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جبرار ولاوزر) بتاريخ ١٩١٠/٥/٢٩م إلى وزير خارجية بريطانيا (السير ش.هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي واليهود، وقد كشف عنها النقاب في بريطانيا حديثًا، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (١٩٧٨/١٢/٢٥م) في الأعداد (٤٢٥،٤٢٩) نقلاً عن مجلة آفاق العراقية نقتطف منها الأجزاء الأهم:

في المدينة مائة وأربعون ألفًا، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني أي هربوا من أسبانيا، وعشرون ألف يهودي من سبط (لاوي) أو من يهود المتظاهرين بإسلام دونمة، ومعظم اليهود من أصل أسباني، يتمتعون بالجنسية الإيطالية، وهم ماسونيون ينتمون إلى المحافل الإيطالية، فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش، أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام بالتعاون مع الماسونية الإيطالية محفل (ماسيدونيا روزيتا)، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطًا ومدنيين بالانتماء إلى الماسونية، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

كان المخططون لحركة تركيا الفتاة بالدرجة الأولى من اليهود، وجميع اليهود

على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد، وقد أصبح كل يهودي جاسوسًا لجمعية الاتحاد والترقي، وحينها بدأ الناس يقولون: "إن الحركة يهودية أكثر منها تركية"، عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلاً عامًا، وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرًا لها في قسطنطينية، وكان شتراوس بالتعاون مع (جاكوب شنب) قد أثَّر على يهود الولايات المتحدة ليهاجروا إلى العراق، معنى ذلك أن شتراوس يهودي، العقيد اليهودي الدونمي (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصًا إلى القسطنطينية، وقد عينه رئيسًا لأركان حرب السلطان محمد الخامس، وعندما خلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل عين أخ لرمزي بيك مشرفًا على السلطان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأول سنة ١٩٠٩م أن انقسام اليهود إلى صهيونيين ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلا شك، بعد خلع عبد الحميد أعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين، مدير المطبوعات في الدولة يهودي من له سلطة إيقاف أي جريدة، وكالة الأنباء التلغرافية التي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية، مديرها يهودي من بغداد، اهتم اليهود أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة، الممولون اليهود راحوا يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب اقتصادية، أصبح لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوروبية، وصار اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل بعد أن احكموا سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان، اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددًا آخر من الجرائد في القسطنطينية، والممولون الأوروبيون - ومعظمهم من اليهود - أصبحوا يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة، جمعية الاتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والاضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية، أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في

أساليبها بتوجيه من اليهود، اليهود يزيِّنون للأتراك الالتقاء مع الهنغاريين المجر بدافع القومية الطورانية، لأن المجريين من أصل طوراني، وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة".

- انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة ١٩١٠م -

في سنة ١٩٢٣م أعلن نواب مجلس الشعب في تركيا، وكان أغلبهم من الشبتائيين أو أبناء المسلمين الذين باعوا ضمائرهم، عن سقوط السلطنة العثمانية وقيام الجمهورية العلمانية وحلول روح الخلافة في مجلس الشعب كي يوهموا الشعب أن الخلافة لم تسقط وحتى يُكسِبوا النظام الجمهوري قدسية وشرعية، وكان أول رئيس للجمهورية "مصطفى كمال أتاتورك"، الذي كان قد ولد في قصر أحد الأغنياء اليهود الشبتائيين، وكان خليفته من بعده "عصمت إينونو" شبتائيًا معروفًا.. فمن هو مصطفى كمال أتاتورك؟

ولد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٨٨٠م في مدينة "سلانيك"، وهي مدينة يهودية كان يقطنها ١٤٠ ألف نسمة, منهم ٨٠ ألفًا من اليهود الأسبان، و٢٠ ألفا من يهود الدونمة أي (المتظاهرين بالإسلام)، وينسب مصطفى كمال إلى "علي رضا" وأمه اسمها "زبيدة"، لكن الشكوك تحيط بنسبه ويقال إن أبويه من ألبانيا أصلاً، تقول الروايات بإن زبيدة حملت في لانكايا (في أطراف سلانيك) من أحد العاملين في مزرعة قريبها "حسين آغا أفندي".

ألحق الطفل مصطفى بمدرسة دينية تابعة لأحد الجوامع القريبة، وما كاد أن ينهي العام الأول إلا وتبين أنه لا يحب تلك المدرسة، فتم نقله إلى مدرسة أخرى كانت تقوم بتدريس العلوم الزمنية، أبدى اهتمامًا في دراسته وتفوق، إلا أن والده توفى فجأة، فتركت أمه بيت الزوجية في سلانيك وانتقلت به وبأخته "مقبولة" إلى بيت خاله الفلاح في قرية صغيرة، عاش حياة الفلاحين وكان يذهب بماشية خاله إلى المراعي في الصباح وكان يعمل على تنظيف مراقدها في المساء.

ملَّ هذه الحياة وكثرت مشاكساته مع والدته وشقيقها فكان يثور بوجهيهما لأتفه الأسباب، وصار يُهدد بمغادرة المنزل إلى غير رجعة إذا لم يعيداه إلى مدرسة محترمة في سلانيك، استدانت أمه من أختها مبلغًا من المال للعودة به إلى مدينة سلانيك، والتحق الصبي مصطفى بإحدى مدارس المدينة، لكن الأمور لم تسر على ما يرام.

في أحد الأيام فوجئت أمه بعودته إلى منزل شقيقها، حاملاً كتبه ودفاتره وأقلامه في حقيبة من القماش مدلاة من فوق عنقه إلى ما تحت إبطه، وهو مدمي الوجه مشعث الشعر ممزق الثياب بسبب شجاره مع أحد الفتيان كما كان يفعل قبل أن يعيش في بيت خاله، ويبدو أن شجاره هذه المرة كان أكثر عنفًا وأبعد خطرًا على مستقبله، فقد تعارك في المدرسة مع بعض الصبية ونالهم منه من الأذى مما ناله منهم، عندها تدخَّل الناظر وانتزعه من وسطهم بعد أن صفعه لرفضه ترك شعر أحدهم وكان قد تشبث به محاولاً طرحه أرضا، فما كان من مصطفى إلا أن رفس الناظر أيضًا وشتمه، فانهال هذا عليه ضربًا ولكمًا وطرده من المدرسة.

بناء على نصيحة خاله لوالدته الذي اقترح عليها بأن تدخل ابنها لو أمكن في المدرسة العسكرية الإعدادية فربما هناك سيتعلم الأصول والانضباط ويتعلم ألا يتشاجر ويعتدي على الآخرين، لم تجد والدته إلا أن تفاتحه بما نصحها خاله به، فلمعت عينا مصطفى ولم ينم تلك الليلة، في الصباح ذهب إلى أحد ضباط المدرسة في سلانيك وكان صديقًا لوالده وطلب المساعدة وفعلاً اجتاز امتحان القبول بنجاح وتم قبوله بالمدرسة العسكرية عام ١٨٩٣م، فأبلا بلاء حسنًا وكان متفوقا، وكأنه خلق لكي يكون جنديًا، وكان يطلق عليه اسم مصطفى إلا أن مدرس مادة الرياضيات كان اسمه أيضًا "مصطفى أفندي" فاقترح على الطالب المتفوق الذي له نفس الاسم بأن يضيف تميزًا على اسمه ليصبح "مصطفى كمال".

وهكذا كان مصطفى كمال في المدرسة الحربية في سلانيك، وكان اسمها مدرسة الرشدية العسكرية، أقبل على الدراسة العسكرية برغبة شديدة فتفوق فيها، وظهرت مواهبه أكثر ما ظهرت في الرياضيات واللغات الأجنبية، لا سيما

الفرنسية، كما أظهر براعة فائقة في تنظيم الطوابير والاستعراضات العسكرية، مما أثار إعجاب أحد أساتذته فرقَّاه إلى رتبة (تلميذ مدرس)، تفوق في المدرسة العسكرية الإعدادية وبعد سنتين تم إرساله إلى المدرسة العسكرية العليا في مقدونيا.

في المدرسة العليا أبدى اجتهادًا واتضحت شخصيته فكان يحب السياسة والقيادة، وصار يسمع عن الظروف السيئة التي تمر بها الدولة العثمانية وتخرج عام ١٨٩٩م في سن ١٩ والتحق بالكلية الحربية باسطنبول وكان يحب الخطابة، في تلك الأيام كان قد ترسخ في عقول قادة الأحزاب والثوريين بأن تغيير الحال يلزمه مجموعة من العسكريين لكي يقوموا بانقلاب على النظام لاستحالة نجاح ثورة شعبية بسبب المكانة الدينية التي يتمتع بها السلطان العثماني عند العامة بوصفه خليفة للمسلمين، أصبح "مصطفى كمال" يشترك في الاجتماعات السرية وكان يطبع المنشورات التي تطالب بقلب نظام الحكم، يُذكر عن مصطفى كمال بأنه كان يأخذ دروس خصوصية في اللغة الفرنسية عند امرأة أجنبية، وأنه كان يجلب معه سرًا بعض مقالات أنصار الحرية - وهم من الأتراك الموجودين في باريس، وكان مفتونًا بكتب فولتير، روسو، مونتيسيكو وغيرهم من رواد الثورة الفرنسية.

تخرج مصطفى كمال من الكلية الحربية سنة ١٩٠٢م، ثم التحق بكلية أركان الحرب وتخرج منها عام١٩٠٥م، والتحق بالجيش برتبة رائد، عمل بدمشق لمدة سنتين ثم نقل إلى سلانيك وعرف عنه بعدم حبه للإسلام. فيتعرف صدفة على رجل في السوق اسمه "دكتور مصطفى جانتثكين" كان له دكان صغير فاكتشف أن الرجل كان طالبًا في كلية الطب وفُصل منها لأفكاره التقدمية حيث وجد عنده كتبًا فرنسية حول الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ والتوراة وغيرها، تكرر لقاؤهما وتوطدت علاقتهما وألَّفا جمعية سرية "الوطن والحرية"، وبدأت الجمعية بالعمل ضد الدولة العثمانية، وأصبحت تهاجم السلطان عبد الحميد ونظامه لخنقه الحريات وقمعه للأفكار والآراء الحديثة! وكانت تهاجم الوعاظ ورجال الدين الذين يعوقون كل تقدم وإصلاح، وبعد ذلك أصبح مصطفى كمال رئيسًا لتلك الجمعية

وعمل بالسر مع رفاقه فطارده البوليس واعتقل وسجن أكثر من مرة، ولم تستمر جمعية الوطن والحرية طويلاً بل التحقت بجمعية "الاتحاد والترقي".

هذا، وقد تم تأسيس جمعية الاتحاد والترقي على يد "إبراهيم تيمو" الألباني الأصل، الذي كان قد تخرج من المدرسة الإعدادية الطبية، فالتحق بالكلية الطبية العسكرية، التي كانت نموذجًا للكليات الأوروبية، وهناك قضى إبراهيم سنوات في هذه الكلية مما مكَّنه من إيجاد الفرصة المناسبة للتعرف على أنصاره الجدد، وفيما بعد بادر في آيار ١٨٨٩م مع أربعة من طلاب هذه الكلية إلى تأسيس جمعية سرية، وهؤلاء هم، اسحق سكوتي، عبد الله جودت، محمد رشيد الجركسي، وحسين زادة علي، ولقد سميت جمعيتهم باسم "الاتحاد والترقي".

كان تأثير اليهود الأوروبيين واضح في الحركة القومية التركية من خلال كتاباتهم ونشراتهم السرية التي كانت تصل داخل تركيا عبر البريد الأجنبي، لقد قامت جمعية الاتحاد والترقي على إثارة المشاعر القومية عند الأتراك، ونادت بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية، وكانت هذه المفاهيم غريبة على العثمانيين، وقد ضمت في صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأتراك، بالإضافة إلى يهود الدونمة وكانت الغاية منها الإطاحة بحكم عبد الحميد الثاني.

أسهمت طائفة يهود الدونمة في هدم القيم الإسلامية في المجتمع العثماني وعملت على نشر الإلحاد والأفكار الغربية وانتشار الماسونية والدعوة لهتك حجاب المرأة المسلمة واختلاطها مع الرجال وخاصة في المدارس وكان الكثير من رجال الاتحاد والترقي يساهم في بعض نشاطاتها وأفراحها، قام يهود الدونمة بدور فعال في نصرة القوى المعادية للسلطان عبد الحميد الذي أبقى الدونمة في سلانيك وكان دائمًا يرتاب منهم، ونتيجة لموقف عبد الحميد من الدونمة، قام يهود الدونمة بالتعاون مع المحافل الماسونية للإطاحة به، ولقد تلقت جمعية الاتحاد والترقي مساعدات مالية من يهود الدونمة الذين كانوا يمتازون بامتلاكهم الكثير من الثروات، وكان بعض الأتراك يرون "إن جمعية الاتحاد والترقي هي في جوهرها وأساسها يهودية تركية تعارض كل العناصر الأخرى".

بعد أن تم خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٢٢م، أحكم اليهود سيطرتهم على الشبان الثوريين الأتراك، وعندما ابتلعت جمعية الاتحاد والترقي، الجمعية التي أسسها مصطفى كمال وهي (الوطن والحرية)، وانضمام أصدقاء وأعضاء جمعية مصطفى كمال إليها، اضطر هو أيضًا إلى الانضمام إليها، لكن الاتحاديون لم يعيروه اهتمامًا ولم تعجبهم تصرفاته، لذلك فإن مصطفى كمال حمل حتى النهاية في نفسه حقدًا لا يهدأ نحو الاتحاديين.

وعندما تحرك (جيش الحركة) من سلانيك إلى اسطنبول، كان مصطفى كمال أحد الأركان، فالصهيونية العالمية لم تقتصر على الانقلاب الدستوري لعام 1908 م بل تعاونت مع جمعية الاتحاد والترقي لتحقيق مكاسب أخرى في فلسطين، وعليه كان لابد من التخلص من السلطان عبد الحميد الثاني نهائيًا ولذلك دُبرت أحداث أبريل ١٩٠٩م، ومع أن جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تبنَّت الأفكار الغربية المضادة للإسلام وللفكر الإسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وقد نجحوا في ذلك بعد توجيه تُهم باطلة للسلطان، فضغطوا على مفتي الإسلام فأصدر فتوى بخلع السلطان في نيسان عام ١٩٠٩م، تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش لأخيه "محمد رشاد" في ٢٧ إبريل ١٩٠٩م، وانتقل مع ٣٨ شخصًا من حاشيته إلى سلانيك بطريقة مهينة ليقيم في المدينة ذات الطابع اليهودي في قصر يمتلكه يهودي بعدما صودرت كل أملاكه وأمواله، وقد تُوفِّي السلطان عبد الحميد الثاني في ١٠ فبراير ١٩١٨م عن ستة وسبعين عامًا.

بعد السلطان عبد الحميد تولى الحكم عام ١٩١٠م أخوه "محمد رشاد" (محمد الخامس)، وكان عمره ثماني وستين سنة حين تولى الحكم، وبعد وفاته تولى الحكم "محمد وحيد الدين"، وهو أخو رشاد الذي استسلمت الدولة في عهده وقتذاك، وقد حاول السلطان وحيد الدين أن يُنقذ الدولة بعد هزيمتها وسيطرة الحلفاء على اسطنبول واحتلال اليونان للأقسام الغربية ووقوع البلاد العربية تحت الاحتلال، فوضع ثقته في مصطفى كمال الذي كان يتولى قيادة القوات التركية

التي تحمي الدردنيل، فهو الذي أنقذ البلاد من وقوعها تحت الاحتلال البريطاني؟!، وما لبث أن تم إجبار "وحيد الدين" على التنازل عن السلطنة والخلافة عام ١٩٢٢م، وقد كان خليفة فقط بعد إلغاء السلطنة.

أثناء الحرب العالمية الأولى عُيِّن في ١٩١٧م مصطفى كمال قائدًا لجبهة فلسطين وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدًا لقائد الجيش الثاني، فعمل في السر صفقة مع الجنرال البريطاني "اللنبي" وتم الاتفاق بأن ينسحب الجيش التركي وهكذا دخل الجيش البريطاني فلسطين، كان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (محمد السادس)، الذي كان قد عيَّنه في ربيع سنة ١٩١٨م مرافقًا عسكريًا له، وكان آنذاك وليًا للعهد، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته لجمعية الإتحاد والترقي، وأبدى صلاحًا وحرصًا على مصلحة تركيا، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين، وغدا مصطفى جنديًا للأمير وأمينًا لسره، وفي أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدين الخلافة، فقرَّب مصطفى كمال أكثر ورفع من مكانته.

كان مصطفى كمال في الحقيقة ينفذ مخططًا مرسومًا له في المعاهدات التي عُقدت مع الدول الغربية، فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م على تركيا فقبلت شروط الصلح التي تمثلت في قطع كل صلة لتركيا بالإسلام، وإلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تامًا، وإخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة، واتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم.

منذ لحظة إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م برئاسة مصطفى كمال، بدأ اتخاذ الترتيبات نحو الاتجاه للغرب، وقال: "إن الدولة التركية دولة علمانية، وكل راشد حر في اختيار دينه، إن الأمة التركية دولة تُدار بالنظام الجمهوري الذي هو إرادة الشعب"، فألغيت وزارة الأوقاف وعُهد بشؤونها إلى وزارة المعارف عام ١٩٢٤م، وحدد عدد المساجد، وقلل عدد الواعظين ولم يسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر، وأعلن أن الروح الإسلامية تُعيق التقدم فحُوِّلت بعض المساجد إلى متاحف، وحل القانون مكان الشريعة

الإسلامية وتم اقتباس القانون المدني من القانون السويسري عام ١٩٢٦م، وتم تغيير التقويم الغربي بدل الإسلامي في عام ١٩٢٦م، وفي دستور ١٩٢٨ اغفل النص الذي يقول إن تركيا دولة إسلامية، وأهمل التعليم الديني ثم تم إلغاؤه، وتم حظر كل شيء له علاقة بالدين، وراح مصطفى كمال أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روح القومية، استغل ما نادى به بعض المؤرخين من أن لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال: "بإن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم بعد أن حارب كل نشاط إسلامي"، عملت حكومته على الاهتمام بكل ما هو أوروبي، وألغت حجاب المرأة وأمرت بالسفور، وتم إلغاء قوامة الرجل على المرأة.

مع ظهور تيار العلمانية بدأت محاولات التخلص من تأثير الثقافة العربية، وتطبيقًا لهذا أقام مصطفى كمال عام ١٩٢٣م قانونًا بإلغاء الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية، فكلف مصطفى كمال لجنة من الأساتذة بكتابة الألفاظ التركية بحروف لاتينية، وطبق الانقلاب الحديدي على نفسه أولاً، ثم أمر المجلس الوطني في يوليو عام ١٩٢٨م بالانتقال معه إلى اسطنبول، ودعا إلى قصر (الدونم ابهاتشي) الشخصيات المرموقة، وأخذ يشرح لهم بالطباشير على لوح خشبي أسود كبير الحروف المستحدثة الجديدة وطريقة كتابتها، انتقل إلى المدن والقرى ومعه لوحه الأسود والطباشير شارحًا للناس طريقة الكتابة الجديدة، وقام باستصدار قرارًا من المجلس الوطني الكبير بجعل كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتيني إلزامية في أنحاء البلاد كلها اعتبارًا من الثالث من نوفمبر عام ١٩٢٨م، ثم أمر بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية وتلاوة الصلاة باللغة التركية، ولما ثارت ثائرة رجال الدين والعلماء كان الرد عليهم: "ألا يفهم الله اللغة التركية؟" وسمى مصطفى كمال نفسه أتاتورك أي أبو الأتراك فصار يُعرف مصطفى كمال أتاتورك، في عام ١٩٣٥م، جرى تبديل يوم العطلة الأسبوعية من يوم الجمعة إلى العمل بنظام عطلة نهاية الأسبوع الغربية.

يمكن تلخيص حياة مصطفى كمال أتاتورك في أنه كـــان مغرقـــا فـــي شـــهواته، النساء، الخمر، جنون العظمة، زنا وهو في سن الرابعة عشر في بنت الجيـــران، وتعددت علاقاته الغرامية مع زوجات المسئولين في الدولة ولا داعي لذكرها هنـــا والوقوف على تفاصيلها، فقد كانت فلسفته في الحياة، "على الفرد والأمـــة أن لا تدع النشوة والفرح أن تفلت من يديها"، في أواخر أيامه أصيب بمـــرض الكبـــد وبعدة أمراض أخرى ومات عام ١٩٣٨م.